



محاسبة بعد المحاسبة

ما من احد يشك في أن ما سمي "قانون محاسبة سوريا" طرح للبحث في واشنطن بداية بدفع من اللوبي الاسرائيلي والمتأثرين به في الكونغرس الاميركي. وما من احد يجهل ان وزن هذا اللوبي في العاصمة الاميركية يكفل له القدرة على توجيه نسبة كبيرة من اعضاء الكونغرس، فضلاً عن التأثير على اصحاب القرار في الادارة. لكن البحث عن الاسباب والعوامل لم يعد يجدي، اذ يدخل مشروع "محاسبة سوريا" المسار الذي يحولّه قانوناً يلزم الى حد بعيد الادارة. ففي ازاء تصويت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الذي حسم مرحلة الاخذ والرد، وخصوصاً اذا اعتبرنا حجم التأييد الذي ناله النص، بات لزاماً على المسؤولين السوريين تحديد رؤية جديدة لعلاقتهم مع الولايات المتحدة.

الخيارات ليست كثيرة، ويمكن ان نشطب منها سلفاً الضغط الاقتصادي. فسوريا لا تملك شيئاً تستطيع ان تهدد به الاقتصاد الاميركي، والكلام عن خسارة للشركات الاميركية التي حظيت بعقود في سوريا، ومنها عقود التنقيب عن النفط، لا يفيد الا للاستهلاك المحلي، وامام جمهور يجهل سير الاقتصاد المعولم. كذلك يمكن اسقاط احتمال قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

فحتى لو ان الولايات المتحدة وضعت نفسها من خلال هذا المشروع في خانة اعداء سوريا، فلا سوريا ولا اي بلد في العالم قادر اليوم على الاستغناء عن الحد الأدنى من التواصل مع عاصمة الامبراطورية العالمية، وبقينا ان احداً لن يلوم دمشق على احكامها عن "معاقبة" تلك الامبراطورية من خلال الوسائل الدبلوماسية التقليدية، من سحب السفير وخفض مستوى التمثيل وصولاً الى اقفال السفارة.

بيد ان استحالة قطع العلاقات تحدّ ايضاً من الاحتمالات الاخرى، تلك التي تتمثل في الردود غير المباشرة، وذلك في المجالين اللذين حاولت سوريا ان تتحرك فيهما، اي المجال الفلسطيني والمجال العراقي. في الموضوع الاول، استبقت اسرائيل تصويت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الاميركي بخروجها على تفاهم رايبين - الاسد حول تحييد الجبهة السورية - الاسرائيلية عن الصراع العسكري في الشرق الاوسط.

وإذا كانت لاسرائيل دوافع عديدة وراء شتّها اول اعتداء لها على الاراضي السورية منذ عام ١٩٧٤ (ليس "تصدير شارون لأزمته الداخلية" بحسب لازمة الاعلام اللبناني المتلازم الا الجزء اليسير منها)، فإن شبه التزام بين هذا الاعتداء والتصويت الاولي في الكونغرس يضيق هامش التحرك السوري حيال حركتي "حماس" و"الجهاد" والفصائل الفلسطينية الاخرى المعارضة لمسيرة التسوية.

فضلاً عن ان الولايات المتحدة تتجه اكثر فاكثر في هذه السنة الانتخابية الى عدم المبالاة لمآل هذه المسيرة، بدليل عدم حماسها لتنفيذ "خريطة الطريق".

اما في المجال العراقي، فالحسابات مختلفة. اذ يمكن سوريا نظرياً العمل على تخريب الخطط الاميركية. لكن ما يصحّ نظرياً لا يصلح عقلياً. وليس التخبّط الاميركي في العراق مدعاة الى مزيد من التدخل السوري علّ التخبّط يزيد ويتعمّق. على العكس تماماً، فإن الصعوبات التي تواجهها ادارة



الرئيس جورج بوش قد تحقّرها، سواء عن اقتناع أو لإلهاء الرأي العام، على توسيع دائرة عملياتها مثلما حصل قبل ثلاثة اشهر حين خرقت وحدة اميركية الحدود السورية على عمق عشرات الكيلومترات. ولعل الحمى الانتخابية قد تزيد من نزعة المغامرات الاميركية التي لا طائل لسوريا على احتمالها.

لا تعني استحالة الرد السوري القاسي ان دمشق لا تملك الا الإذعان امام الولايات المتحدة. ولا بد من الاعتراف بأن احتمال الإذعان المباشر ضئيل جداً، ليس لسبب الا لأن المطلوب اميركياً من دمشق بعيد عن الوضوح حتى بالنسبة الى القيادة السورية، رغم ما قيل عن وجود لائحة مطالب جاء بها كولن باول خلال زيارته الاخيرة لدمشق. ولكن، في المقابل، فإن استراتيجيا ربح الوقت التقليدية في دمشق لم تعد فاعلة، واعظم برهان على ذلك فشل سوريا في منع تحوّل مشروع محاسبتها قانوناً. ولعل ضيق هامش التحرك هو تحديداً الدافع الاول لصوغ رؤية جديدة للعلاقة بين سوريا والولايات المتحدة.

يبقى ان تجديد النظرة الى العلاقات بين دمشق وواشنطن يفترض بداية استخلاص العبر، والعبرة الاولى، من وجهة النظر السورية، هي ان بداية تحوّل مشروع المحاسبة قانوناً هو فشل دبلوماسي ذريع تترتب عليه مسؤوليات. طبعاً، لا يتوقع احد من الحكم السوري ان يعاقب نفسه. لكن كيف يمكنه الاحجام عن محاسبة ادائه السياسي والاعلامي والدبلوماسي واعادة النظر فيه، سواء بتبديل جذري في الاطر القيادية، وهذا اضعف الايمان، او بتغيير جلد النظام، وهذا افضل بكثير؟ لا ريب انه سيمكن الدفاع اكثر عن سوريا اذا لم تعد دولة محكومة بمنطق الاستنثار الاعتباطي، واذا اختارت الشفافية ناموساً جديداً، وتصالحت مع نخبها المسجونة او المنفية، وتركت مجتمعها يستعيد الحياة فيقول هو رفضه للشروط الاميركية. فكم بالحري اذا حرّمت القانون الذي يريد محاسبتها من عنوانه الفرعي المتعلق باستعادة لبنان سيادته؟

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000706	
Media	(Support)	HC
Title		محاسبة بعد المحاسبة
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/١٠/١٠ 10/10/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اريبيل.شارون - جورج.بوش - اسحق.رابين - حافظ.اسد
	Locations	اميركا - سوريا - اسرائيل - فلسطين - عراق - دمشق
	Dates	١٩٧٤
	Themes	اميركا - سوريا - شرق.اوسط - لوبي.اسرائيلي - كونغرس.أميركي - قانون.محاسبة.سورية - حركة.حماس - امبراطورية.أميركية - حركة.جهاد - خريطة.طريق - جبهة.سورية.اسرائيلية - علاقات.سورية.اميركية - سوريا.نظام - دمشق - حافظ.اسد - قيادة.سورية - شرق.اوسط - صراع.عسكري - إعلام.لبناني - تسوية.سلمية - تدخل.سوري - بشار.أسد - حكم.سوري - لبنان - عراق
Subject		